ألف حكاية وحكاية (٩٥)

الغريب يصطاد المعيز

وحكايات أخرى

يرويها

يعقوب الشارونى



رسوم

تامر الشارونى

الناشر
مكتبة مصر
سعيد جودة السحار وشركاه
٣ شارع كامل صدقى الفجالة
ت: ٥٩٠٨٩٢٠



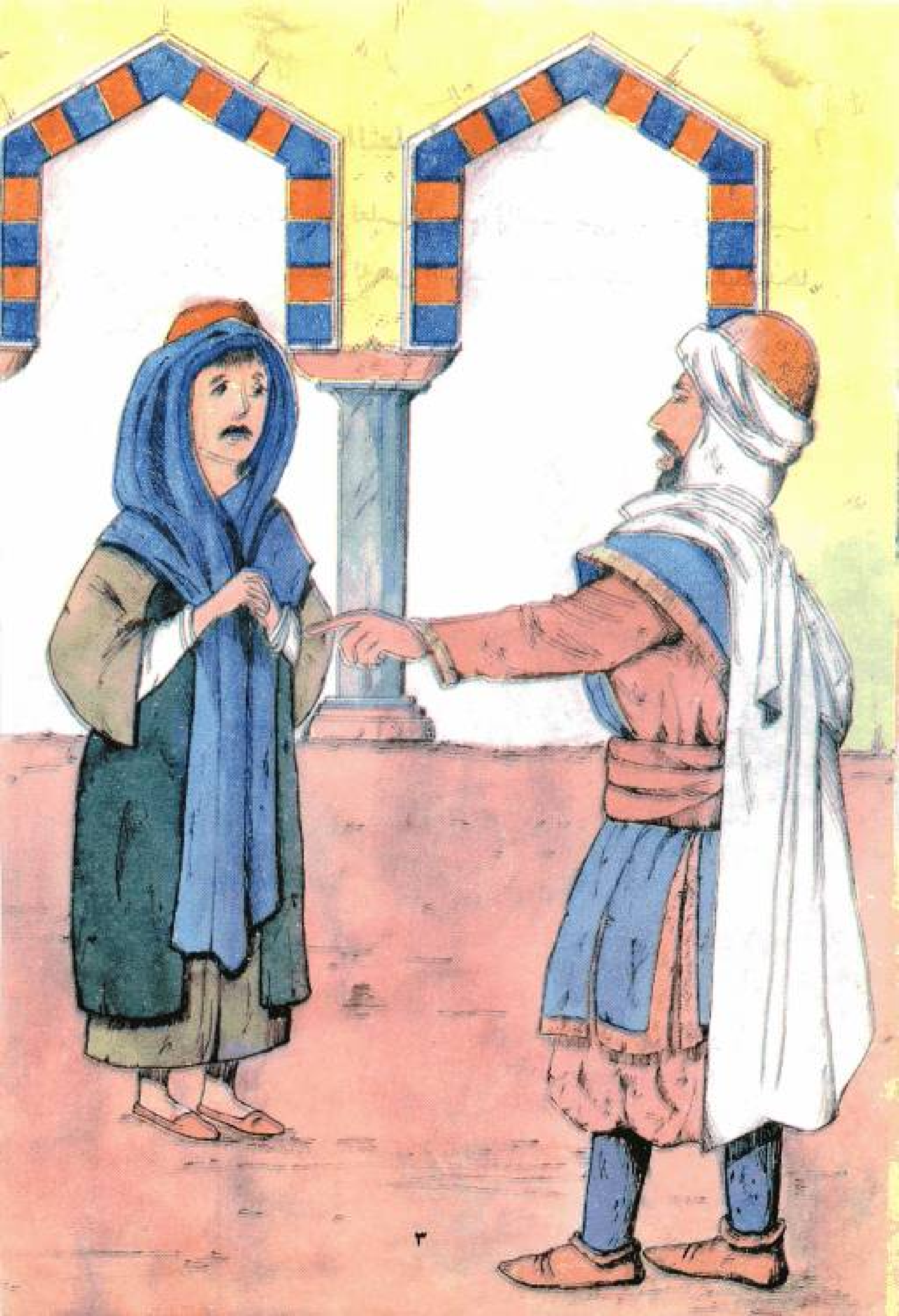
يُحْكَى أنَّ امرأةً كان زوجُها وشقيقُها وابنُها مُتَّهمينَ في مؤامرةٍ ضدَّ الخليفةِ المستنصرِ باللهِ، فألقَى القبضُ على الثَّلاثةِ ، وحَكَمَ بإعدامِهم.

ولما علمَتِ المرأةُ بذلك ، ذهبَتْ فوقفَتْ على بابِ المستنصرِ باللهِ. وما إنْ رأتْهُ قادمًا حتَّى ألقَتْ بنفسِها عند قدمَيْهِ، وهي تبكي بكاءً مُرًّا ، وتتوسَّلُ إليه قائلةً: "أرجو أن تعفُوَ عَنهم ، أو تأمرَ بقتلي معهم ، فلن يكونَ عندي مَنْ أعيشُ لأجلِهِ من بعدِهم."

وأشفقَ المستنصرُ عليها ، فسكتَ لحظةً يفكِّرُ ، ثم رفَعَ رأسَهُ وقالَ: "قد قبلْنا شفاعتَكِ في واحدٍ منهم فقط ، وتركْتُ لكِ أن تختاري أحدَهم."

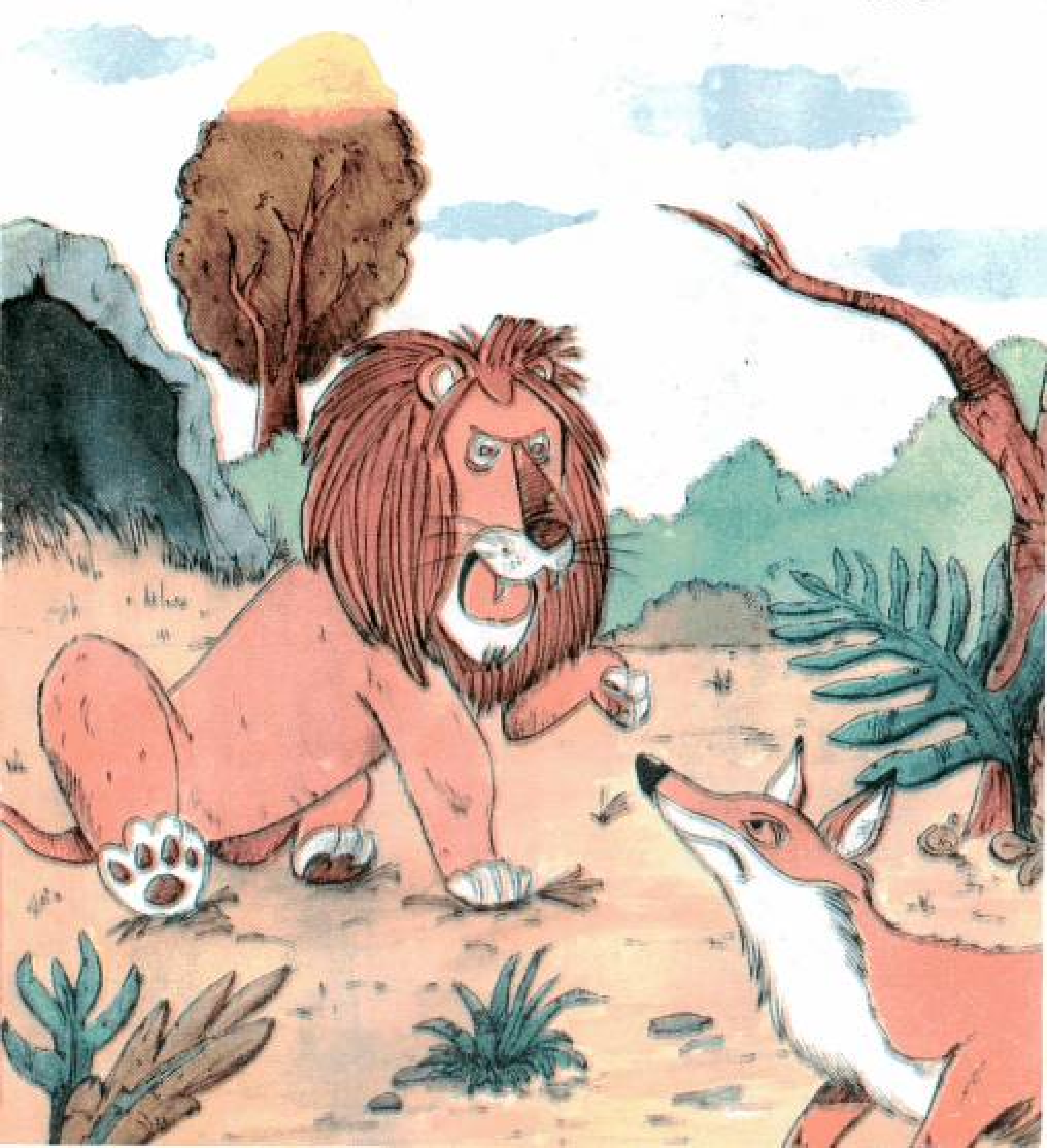
وأحسَّتِ المرأةُ بالحيرةِ ، لكنَّها فكَّرَتْ ، ثمَّ قالَتْ: "الزَّوْجُ موجودٌ .. والابنُ مولودٌ، أمَّا الأخُ فمفقودٌ ولا يعودُ .. إنَّني أختارُ الأخَ .."

فأعجِبَ المستنصرُ بطريقتِها في الاختيار ، وقالَ لها: "اذهبي يا بنيَّةُ ، لقد وهبْتُ لكِ حياتَهم جميعًا."



الثعلب والأسد

نشأتْ صداقةٌ بين ثعلبٍ وأسدٍ، واتَّفقا على أن يكونَ الثعلبُ فى خدمةِ الأسدِ، يبحثُ له عن الفريسةِ، ويُرشِدُ الأسدَ إليها، فيصيدُها الأسدُ.



وفى يومٍ استكثرَ الثعلبُ على الأسدِ أن يحتفظَ بمعظمِ الصيدِ لنفسِهِ، فقرَّرَ ألا يكتفِيَ بالبحثِ عن الفريسةِ، وقالَ: "سأخرجُ وأصيدُ لنفسى."

وفى اليومِ التالى، خرجَ وحدَهُ، وحاولَ أن يخطفَ خروفًا صغيرًا من قطيعِ غنمٍ، لكنه وقعَ فريسةً سهلةً للرُّعاةِ والكلابِ وهو يقولُ: "لقد نسيتُ قدرَ نفسى، فدفعْتُ حياتى ثمنًا لغلطتى."



أصْبَحَتْ أسوأ منها !

ذهبَتْ شابَةٌ إلى إحدى المتاجرِ الكبيرةِ ، وأعجبَها ثوبٌ فاخرٌ، فأخذَتْهُ إلى حجرةِ القياسِ لتقومَ بقياسِهِ ، فوجدَتْ طابورًا كبيرًا من السيداتِ.

وانتظرَتْ حتى جاءَ دورُها ، فأعطَتْ حقيبةَ يدِها إلى سيدةٍ كانَتْ تقفُ بجوارِها ، تظهرُ عليها علاماتُ الوقارِ.

وعندما انتهَتِ الشابَّةُ من قياسِ الثوبِ وغادرَتِ الحجرةَ ، أعادَتْ إليها السيدةُ حقيبتَها ، وتركَتْ لها حقيبتَها هى ، لتحفظَها لها حتى تعودَ.

وفى أثناءِ ذلك ، فتحَتِ الشابَّةُ حقيبةَ يدِها لتدفعَ ثمنَ الثوبِ، فاكتشفَتِ اختفاءَ ورقةٍ ماليةٍ .. وبدونِ أن تُفكِّرَ ، فتَّشَتْ فى حقيبةِ يدِ السيدةِ ، وإذ بها تجدُ الورقةَ الماليةَ المفقودةَ ، فالتقطَتْها بسرعةٍ ، ووضعَتْها فى حقيبتِها.

وعندما عادَتِ السيدةُ ، أعادَتْ إليها الشابَّةُ الحقيبةَ ، فأخذَتْها شاكرةً ، وسارَتْ كلٌّ واحدةٍ فى طريقِها.

وعندما عادَتِ الشابَّةُ إلى منزلِها ، وجدَتِ الورقةَ الماليةَ المفقودةَ مُلقاةً على سريرِها!! فتذكَّرَتْ أنها نَسِيَتْ أن تضعَها فى حقيبتِها فى الصباحِ.

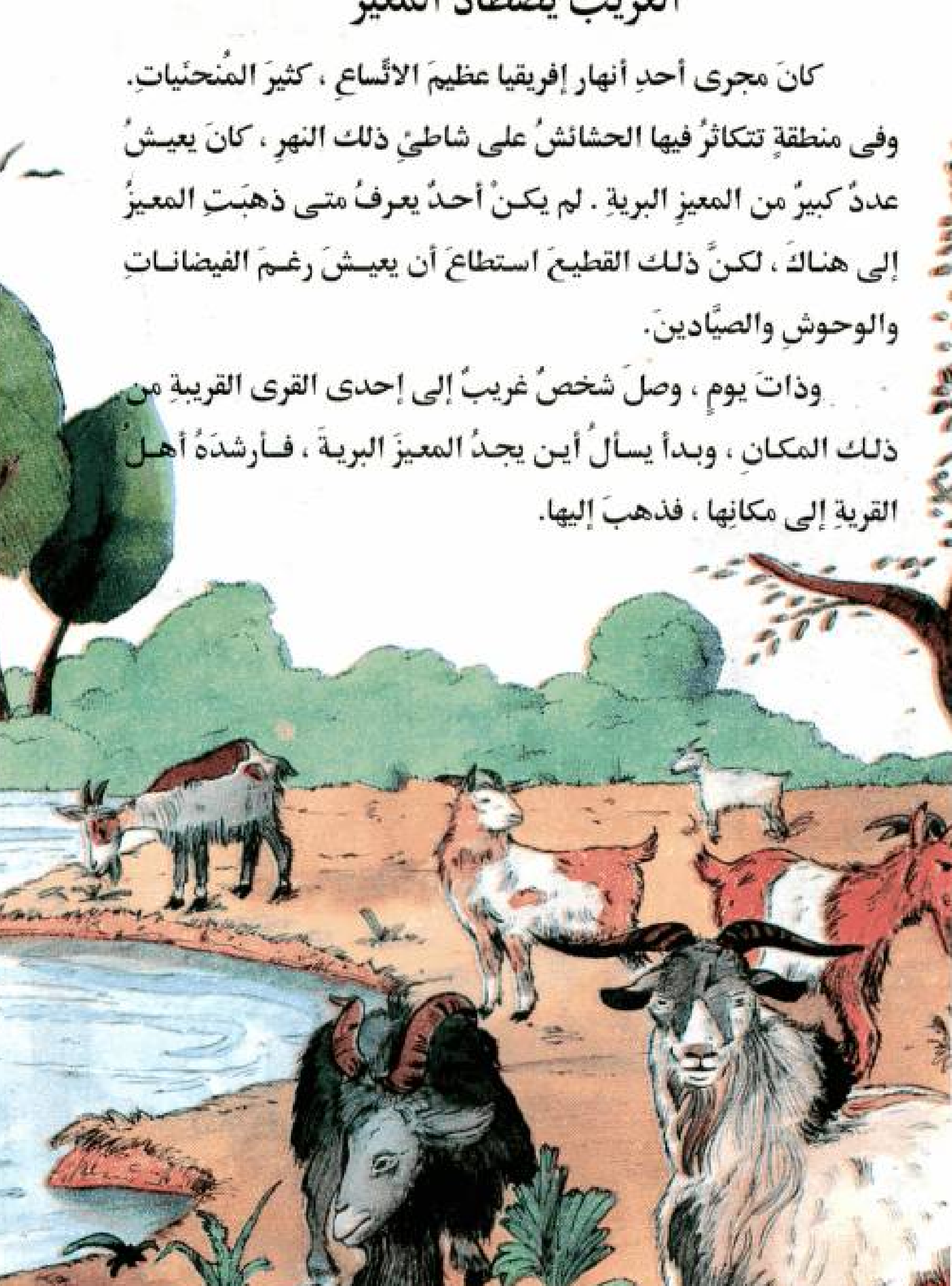
قالَتْ لنفسِها في مرارةٍ وألمٍ شديدَيْنِ: "لقد أردْتُ أن أستردَّ حقِّي ، فأصبحْتُ أنا السارقةَ. وكم كانَ والدي على حقٍّ عندما كانَ يقولُ: لا يجوزُ أن تستردَّ حقَّكَ من السارقِ بأن تسرقَهُ ، وإلا أصبحْتَ أسوأ منه!!"

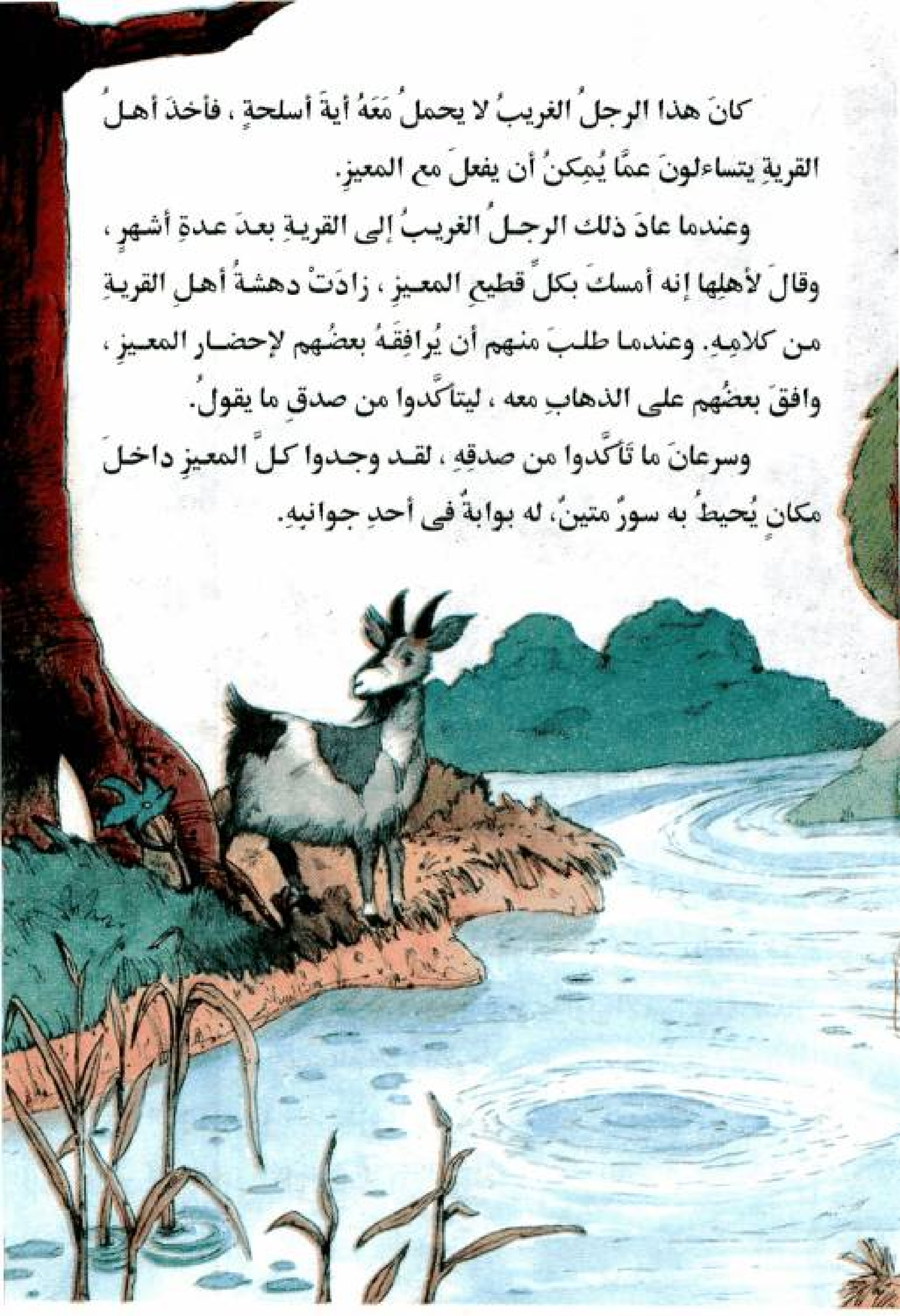


الغريب يصطاد المعيز

كانَ مجرى أحدِ أنهار إفريقيا عظيمَ الاتِّساعِ ، كثيرَ المُنحنَياتِ. وفي منطقةٍ تتكاثرُ فيها الحشائشُ على شاطئِ ذلك النهرِ ، كانَ يعيشُ عددٌ كبيرٌ من المعيزِ البريةِ . لم يكنْ أحدٌ يعرفُ متى ذهبَتِ المعيزُ إلى هناكَ ، لكنَّ ذلك القطيعَ استطاعَ أن يعيشَ رغمَ الفيضاناتِ والوحوشِ والصيَّادينَ.

وذاتَ يومٍ ، وصلَ شخصٌ غريبٌ إلى إحدى القرى القريبةِ من ذلك المكانِ ، وبدأ يسألُ أين يجدُ المعيزَ البريةَ ، فأرشدَهُ أهلُ القريةِ إلى مكانِها ، فذهبَ إليها.

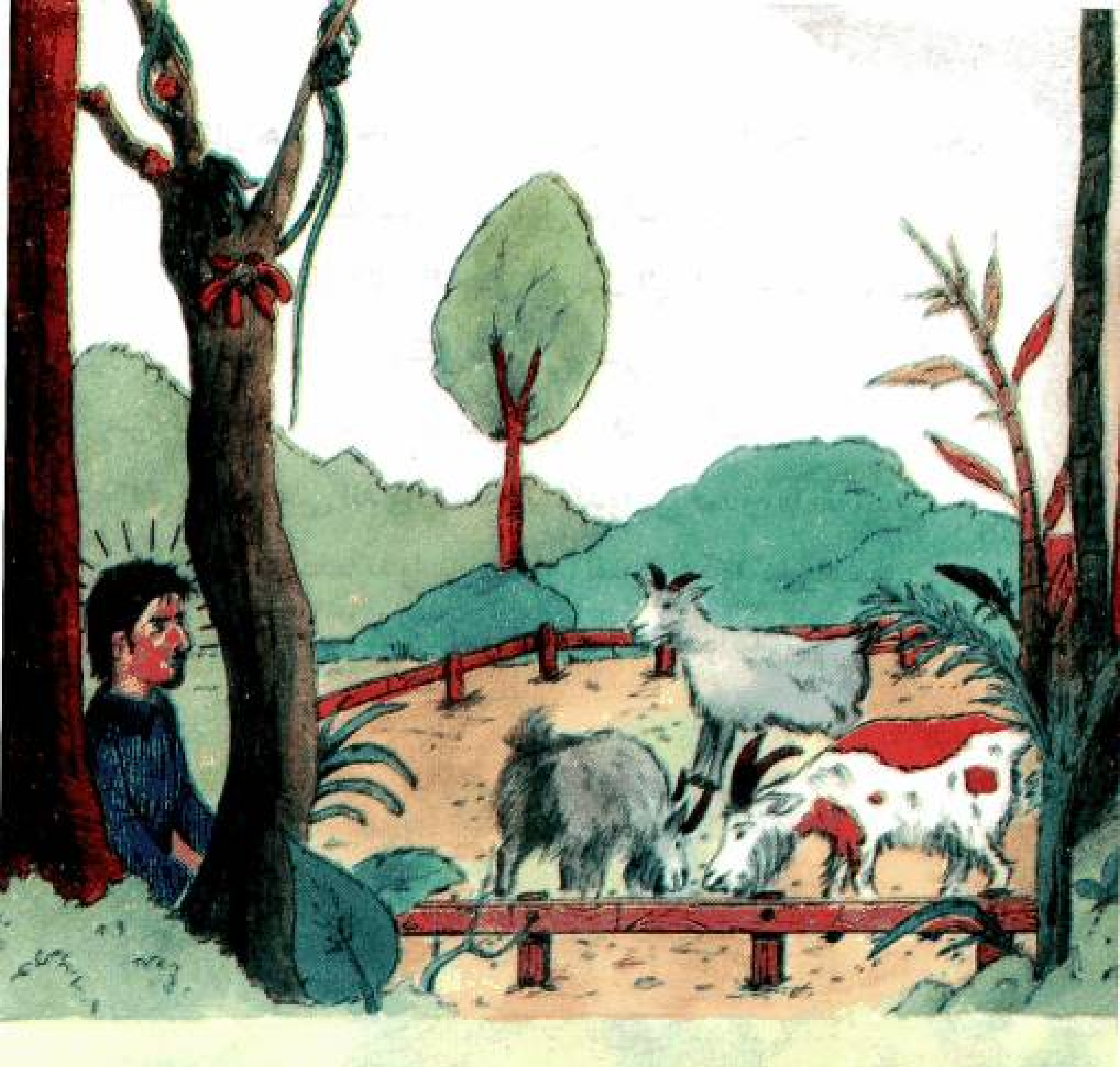




كانَ هذا الرجلُ الغريبُ لا يحملُ مَعَهُ أيةَ أسلحةٍ ، فأخذَ أهلُ القريةِ يتساءلونَ عمَّا يُمكِنُ أن يفعلَ مع المعيزِ.

وعندما عادَ ذلك الرجلُ الغريبُ إلى القريةِ بعدَ عدةِ أشهرٍ ، وقالَ لأهلِها إنه أمسكَ بكلِّ قطيعِ المعيزِ ، زادَتْ دهشةُ أهلِ القريةِ من كلامِهِ. وعندما طلبَ منهم أن يُرافِقَهُ بعضُهم لإحضارِ المعيزِ ، وافقَ بعضُهم على الذهابِ معه ، ليتأكَّدوا من صدقِ ما يقولُ.

وسرعانَ ما تأكَّدوا من صدقِهِ ، لقد وجدوا كلَّ المعيزِ داخلَ مكانٍ يُحيطُ به سورٌ متينٌ، له بوابةٌ في أحدِ جوانبِهِ.



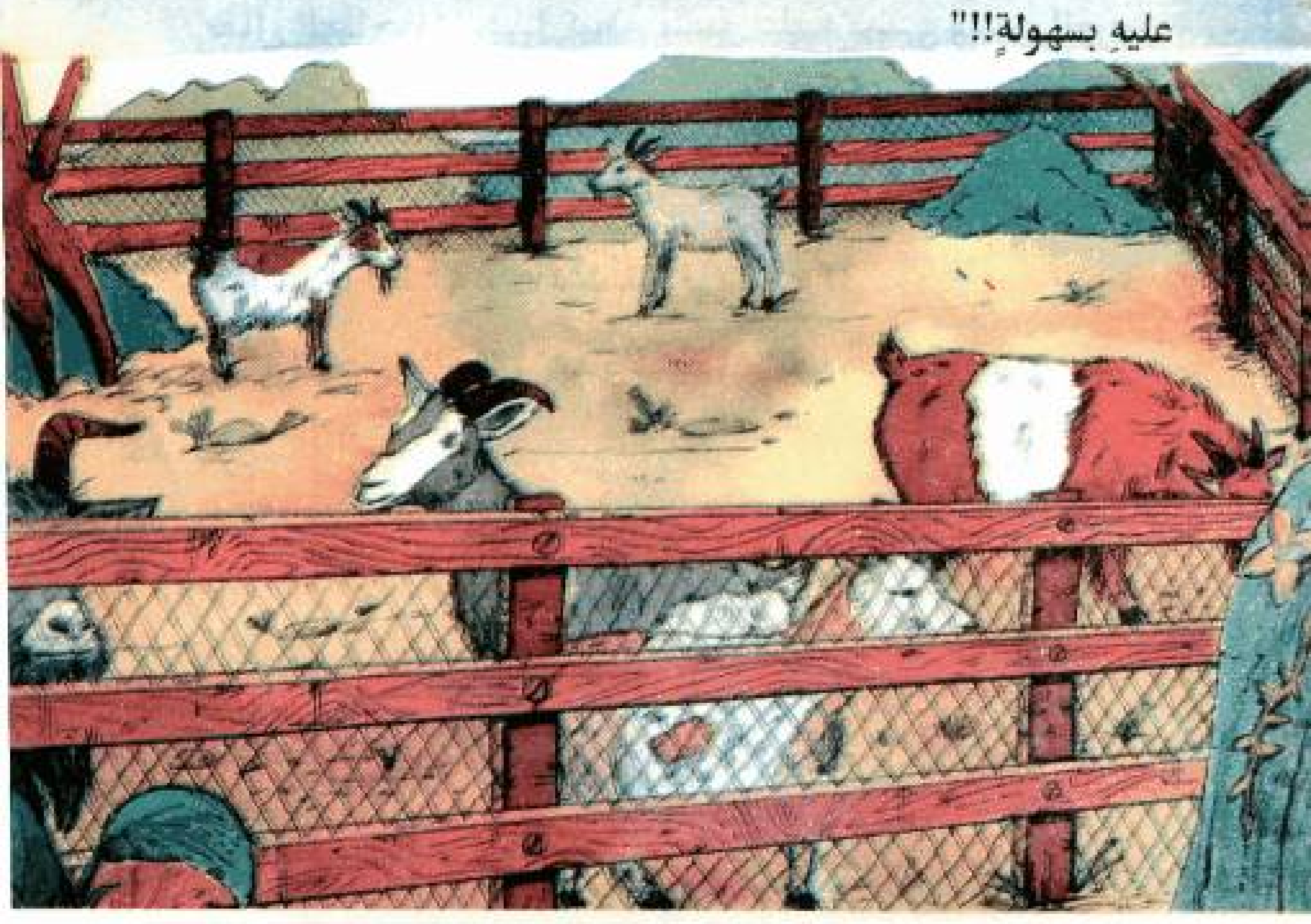
ولمَّا سألوا الرجلَ الغريبَ: "كيف استطعْتَ أن تفعلَ هذا؟"

أجابَهم: "كانَ الأمرُ في غايةِ السهولةِ ، لقد قدَّمْتُ للمعيزِ في البدايةِ بعضَ حبوبِ الذرةِ، فلم تأكلْ منها أولَ الأمرِ . وبعدَ عدةِ أسابيعَ ، بدأتِ المعيزُ الصغيرةُ تخرجُ من بينِ الأحراشِ، وتتناولُ بعضَ الذرةِ بسرعةٍ ، ثم تجرى لتختفِيَ بينَ الحشائشِ. وشيئًا فشيئًا ، أتَتْ كلُّ المعيزِ تأكلُ من الذرةِ التي أضعُها.

ثم بدأتُ أقيمُ سورًا حولَ المكانِ الذى اعتدْتُ أن أضعَ فيه حبوبَ الذرة. كان السورُ مُنخفِضًا فى البدايةِ، لكنَّنى بدأتُ بالتدريجِ أجعلُ السورَ أعلى وأعلى، بغيرِ أن أثيرَ خوفَ المعيزِ.

وعندما وجدْتُ المعيزَ كلَّها قد أصبحَتْ تنتظرُ كلَّ يومٍ ما أقدِّمُهُ لها من حبوبٍ، بدلَ أن تبحثَ بنفسِها عن طعامِها كما كانَتْ تفعلُ من قبلُ، أقمْتُ بوابةً فى الفتحةِ التى كانَتْ موجودةً فى السور الذى بَنَيْتُهُ. ثم أغلقْتُ ذلك البابَ، عندما أصبحَتْ كلُّ المعيز داخلَ السور تأكلُ الذرة.

وتَمهَّلَ الرجلُ وهو يقولُ فى تأكيدٍ: "إننى أستطيعُ السيطرةَ على أىِّ حيوانٍ فى العالمِ بنفسِ الطريقةِ، فمتى استطعْتَ أن تجعلَهُ يعتادُ الاعتمادَ عليك فى الحصولِ على طعامِهِ، استطعْتَ أن تُسَيْطِرَ عليهِ بسهولةٍ!!"



اسلخ جلده!!

بعدَ مُنتصَفِ، الليلِ طرقَ رجلٌ وابنُهُ بابَ "الجاحظ" الكاتبِ العربىِّ الكبيرِ ، وأيقظاهُ من نَوْمِهِ ، وقالَ الأبُ للجاحظِ: "أريدُ أن تكتبَ لِى توصيةً للوزيرِ من أجلِ ولدى هذا."

فاغتاظَ الجاحظُ من سوءِ اختيارِ الوقتِ ، كما كان يكرهُ أن يوصِىَ بمَنْ لا يعرفُ عنه أنه جديرٌ بالتوصيةِ ، لذلك تَناولَ قلمًا وورقةً وكتبَ للوزيرِ: "إذا جاءكَ حامِلُ هذا الكتابِ ، فاسلخْ جلدَهُ."

وفى الطريقِ ، قرأ الرجلُ كتابَ الجاحظِ ، فعادَ إليه مرةً ثانيةً ، وقالَ له: "كيف تكتبُ مثلَ هذا الكلامِ!"

فقالَ الجاحظُ: "هذا كلامٌ مُتَّفَقٌ عليه بينى وبينَ الوزيرِ للشفاعةِ المقبولةِ !"

فقالَ الرجلُ: "يالكَ من مُحتالٍ لئيمٍ!"

فقالَ الجاحظُ: "كيف تشتمُنى فى بيتى ؟!"

فقالَ الرجلُ: "ليسَتْ هذه شتيمةً ، إنما هو كلامٌ أقوله عند المدحِ والشكرِ!!"







ابن الذئب

تقولُ الحكاياتُ العربيةُ، إن أعرابيةً وجدَتْ ذاتَ يومٍ ذئبًا رضيعًا بجوار خيمتِها. كانَ وحيدًا ليسَ معه أمٌ ولا أبٌ ، فأشفقَتْ عليه، وبدأتْ تُرضِعُهُ من لبنِ الشاةِ التى تملكُها. وهكذا أصبحَتِ الشاةُ كأنها أمٌ للذئبِ الصغيرِ.

ومرَّتِ الأيامُ ، وأصبحَ الرضيعُ ذئبًا كبيرًا.

وذاتَ ليلةٍ ، عادَتْ للذئبِ طبيعتُهُ الوحشيةُ ، فافترسَ الشاةَ التى أرضَعَتْهُ وجعلَتْهُ كابنٍ لها.

ومن هنا جاءَ المَثَلُ الذى يقولُ: "ابنُ الذئبِ لا تصلحُ فيه التربيةُ."

إنقاذ فى يوم عيد

يُحكَى أن رجلاً من كبار التُجَّار فقدَ ثروتَهُ ، وأصبحَ يعانى من الفقرِ وسوءِ الحالِ ، فاجتمعَ زملاؤه فى التجارةِ مع بعضِ أصدقائه وقالوا: "إلى متى سنصبرُ على حالِ صديقِنا ؟!"

وتَشاوَروا معًا لإنقاذِهِ من الأزمةِ التى يمرُّ بها ، واتفقوا على أن تكونَ مساعدتُهم له خاليةً من أىِّ جرحٍ لشعورِهِ ، ودونَ إشعارِهِ بالذلِّ والاحتياجِ للآخرينَ.

فذهبَتْ مجموعةٌ من الأصدقاءِ لزيارتِهِ ، وأقنعوه بأن يحتفلَ بعيدِ ميلادِ ابنِهِ الصغيرِ الذى اقتربَ موعدُهُ. وتحتَ إلحاحِهم الشديدِ، اضطرَّ الرجلُ أن يوافقَ على هذه الفكرةِ.

وفى يومِ عيدِ ميلادِ ابنِهِ ، انهالَتْ عليه الهدايا النقديةُ ، فجمعَ مبلغًا كبيرًا ، بدأ يُتاجِرُ به من جديدٍ. ولم يمضِ زمنٌ طويلٌ ، حتى استعادَ جزءًا كبيرًا من ثروتِهِ.



جحا يضع علامة

تحكى كتبُ العربِ، أن رجلاً كان فى مكانٍ خارجَ الكوفةِ، وجدَ فيه "أبو الغصن جحا" يحفرُ موضعًا، فسألَهُ:

"لأى شيءٍ تحفرُ يا جحا؟"

قالَ جحا: " دفنْتُ فى هذه الصحراءِ دراهمَ، ولستُ أهتدى إلى مكانِها. "

فقالَ له الرجلُ: "كان ينبغى أن تضعَ عليها علامةً. "

قالَ جحا: "لقد فعلتُ!"

سألَهُ الرجلُ: "ماذا؟ "

قالَ جحا: " سحابةٌ فى السماءِ كانَتْ تظلِّلُها، ولستُ أدرى موضعَ العلامةِ الآن !! "

بعض قصص هذه المجموعة تم اختيارها وإعادة صياغتها ، من الأدب الشعبى ، والعربى القديم ، والعالمى .

